المجلة الأردنية للفنون، مجلد 6، عدد 3، 2013، 361- 378

الظروف البيئية وتأثيرها على الفنون الحرفية التقليدية الشعبية في الأردن (دراسة تحليلية)

خليل نمر طبازة

قسم الفنون البصرية، كلية الفنون الجميلة، جامعة اليرموك

تاريخ الاستلام: 2012/8/30 **تاريخ القبول:**2013/5/30

Environmental conditions and their impact on traditional folk handicrafts in Jordan (Analytical Study)

Khalil N. Tabaza, Faculty of Fine Arts - Department of Visual Arts, Yarmouk University

ملخص

تعتبر الفنون الحرفية التقليدية الشعبية من الفنون التراثية الهامة. وإن هذا البحث قد تخصص في بيان أهمية البيئة التي تحيط بهذه المنتجات والخبرات الفنية الحرفية من حيث أماكن تواجدها ووسائل إنتاجها فقد تبين من خلال تحليل ودراسة المعلومات التي تم جمعها وتسجيلها وملاحظتها والتي تغيرت نتيجة التطور الطبيعي للحياة الإجتماعية والإقتصادية والسياسية في الفترة ما بين أوائل القرن العشرين وحتى الآن لقد تبين أن هناك مشاكل بيئية عديدة تواجه هذه الحرف.

خلص البحث إلى أن العديد من الصناعات الحرفية التقليدية تفتقر إلى توفر البيئة المثالية سواء كانت طبيعية أو إجتماعية أو صحية أوتعليمية.

أخيراً أوصى الباحث بضرورة عمل الدراسات العلمية من أجل المحافظة على مثل هذه النشاطات إلى جانب أن تكون هذه الحلول مناسبة ومتطلبات البيئة المعاصرة.

كما أوصى الباحث إلى ضرورة وجود مؤسسة تعتني بالحرف اليدوية من حيث توفير قاعدة بيانات تشمل جميع الحرفيين في الاردن، ووضع برامج تعليمية منظمة ضمن المناهج الدراسية إلى جانب وضع القوانين والتعليمات التي تتوافق مع الانظمة الدولية من حيث المحافظة على تطور الحرف اليدوية وسلامة البيئة.

الكلمات المفتاحية: الفنون الحرفية التقليدية الشعبية، البيئة.

Abstract

Traditional handicrafts have been the core art in every civilized nation throughout human history. Environmental conditions played a major role in creating the tremendous diversity these arts have shown.

In this study I will be discussing the main environmental conditions affecting the traditional handicrafts in Jordan; the way they reflected on these arts, their geographical distribution and methods of production.

By analyzing the data collected from different social groups with different socio-economical and political conditions throughout the 20th century, we found that these arts have changed dramatically due to the ongoing evolution in their respective societies.

By demonstrating the vast array of environmental, social, educational and political difficulties Traditional Handicrafts had to face, this study concluded that the environmental conditions in which many of these traditional handicrafts were practiced, were far from optimal.

The research recommends attaching more importance to these traditional handicrafts by:

Encouraging more detailed research projects that look into each traditional handicraft individually, its environment and the difficulties it faces.

Establishing more laws to improve the environmental conditions for these traditional handicrafts,taking into consideration the international recommendations.

Keywords: Arts, Traditional, Handicrafts, Environmental, inscriptions.

المقدمة:

يحتل موضوع البيئة أهمية كبيرة وحيزاً هاماً في الشؤون العالمية ومن أجل ذلك عقدت منذ نهاية القرن الماضي وحتى أيامنا هذه العديد من المؤتمرات العالمية التي حضرها وشارك بها علماء من مختلف التخصصات، واهتم بها عدد من زعماء العالم كما اهتمت المنظمات الدولية والإقليمية والهيئات الحكومية والأهلية بموضوع البيئة وكل ذلك بسبب الضرر والتدهور الكبير الذي لحق بيئة الإنسان الطبيعية والبشرية والمائية والهوائية والنباتية. إن الحرف اليدوية التقليدية المادية التي تعتبر من أفضل الوسائل التي أبدعها الإنسان من أجل التكيف مع البيئة وبما تنطوي عليه من إبداعات لتعد ثروة حقيقية توارثناها جيلا بعد جيل. هذا وسنحاول العمل على إبقائها إلى الأجيال القادمة. إنها خبرة إنسانية رائعة في كيفية تكيف الإنسان مع البيئة حيث يتجلى ذلك في كل ما كان عليه أسلافنا من بعد نظر ومهارة يدوية وثقافية بصرية فطرية، وقدرة على الإبداع والابتكار، ويمكن اعتبارها بحق الإطار الأمثل الذي يحدد كثيرا من جوانب شخصيتنا ويعرف بهويتنا الفكرية والحضارية .ومن هنا علينا المحافظة على هذا الإرث الحضاري والعمل على ضمان بقائه من خلال دراسة الظروف البيئية الراهنة والتي تزداد فيها حدة المنافسة وشروط الإنتاج وبما يتلائم مع متطلبات التغيرات البيئية والحياتية المعاصرة.

ومن هنا يأتي هذا البحث لتوضيح وبيان مدى استجابة الإنسان الحرفي التقليدي الأردني للعوامل البيئية المحيطة وهل كانت الاستجابة سلبية أم إيجابية؟ وهل حصل هناك تأقلم مع متطلبات البيئة المعاصرة؟ وهل هناك استجابات إبداعية استطاع الحرفي استغلالها في كيفية تغلبه على الصعوبات وحلها؟ إن وضع إستراتيجية للتطوير يتطلب دراسة الظروف الماضية والحاضرة ووضع تصور لمستقبل أفضل.

الدراسات السابقة:

قام طبازه (2000) بعمل دراسة ميدانية توثيقية للفنون الحرفية الشعبية التقليدية الأردنية حيث شملت الدراسة النواحي التالية: الفنون التقليدية الحرفية من حيث الأشكال والتصاميم الفنية، تقنيات إنتاج وتوزيع جغرافي للحرف، الخامات ومصادر الحصول عليها، الأيدي العاملة وطرق انتقال الخبرات المهنية. ومن ثم بين العوامل المؤثرة في إحيائها وتطورها وطرق المحافظة عليها .وقد اعتمد الباحث أسلوب البحث الميداني من أجل جمع المعلومات الدقيقة والصادقة من مصادرها الأصلية. ومن مميزات هذه الدراسة أنها قامت على أسس علمية منهجية حيث خلص الباحث إلى أهمية الفنون الحرفية الشعبية من جميع النواحي الإنسانية كجزء من التراث الحضاري، وأن هناك مؤشرات سلبية في اتجاه بقاء هذه المهارات والفنون الإنسانية وأهمها إهمال المجتمع لها وعدم الاهتمام الكافي من قبل الجهات الرسمية في المحافظة على الحرف والفنون الشعبية ودعا الباحث إلى إحيائها وتوفير البيئة المناسبة لذلك من تعليم وتدريب وتسويق.

لقد قام الحيدري (1984) بتقديم دراسة مهمة حول اثنولوجية الفنون التقليدية وهي دراسة سوسيولوجية لفنون وصناعات وفولكلور المجتمعات التقليدية. حيث قام بدراسة المبادئ الأساسية للفنون التقليدية التي تسود في المجتمعات ذات التكنولوجيا غير المعقدة التي تهدف إلى تقديم عرض عام لوصف وتفسير وتحليل نماذج من الأعمال الفنية التي أبدعها الفنانون التقليديون في تلك المجتمعات على اختلاف مستوياتها وتطورها الاجتماعي والثقافي والتكنولوجي من أجل فهم وتفسير العلاقة الجدلية التي تربط الفنون التقليدية بواقعها الاجتماعي وتوضيح أبعادها وتحديد خصائصها وتأثيرها في البناء الاجتماعي.

في الدراسة التي قام بها خطاب (2004) حول استخدام البيئة من منظور اقتصادي إسلامي رأى الاستخدام الجائر للبيئة مظهر من مظاهر انحراف الإنسان عن منهج الله كما أن الاستخدام الأمثل للبيئة لا يتحقق إلا باتباع منهج الله، وأن الإسلام لا يمانع من الأخذ بأحدث الطرق العلمية في مجال معالجة ومكافحة التلوث البيئي، بل أنه يحث على ذلك وأن العولمة تقود العالم نحو النهاية المأساوية مندفعة بحوافز الأرباح وزيادة المكاسب المادية ولو أدى ذلك إلى زيادة تدهور البيئة. ومن هذا التوجه النبيل الذي يدعو له خطاب ومن خلال متابعتي لنشاط الفنون الحرفية في الأردن أجد أن كل المؤشرات تدل على مرور النشاط الحرفي التقليدي الأردني بظروف صعبة وأحد اسباب ذلك متعلق في كيفية تعامل الإنسان مع البيئة.

ولدى سليمان حسن (1976) في كتابات في الفن الشعبي محاولة لفهم جذور الفن الشعبي بمنطقة الشرق الأوسط.

قال: ليس من هدفنا أن نبحث أين بدأت الحضارة بالتحديد ،ولكننا نؤكد أن الإنسان البدائي الذي عاش في هذه المنطقة قد كون حضارة متقدمة سبق بها غيره في المناطق الأخرى .وليس المهم كذلك تحديد تاريخ ميلاد هذه الحضارة لأن ما يعنينا هو أن ميلاد الحضارة بدأ مع عدم استسلام الإنسان للبيئة، محاولاً السيطرة عليها ومتحدياً إياها ص(30).

وأشار إلى أن الفنون الشعبية قد ضعفت أثناء الاستعمار للمنطقة مع نهاية القرن التاسع عشر ولكن الاستعمار لم يستطيع القضاء على الفنون الشعبية وجذورها حيث ما زالت مستعملة لدى سكان المنطقة فهي ذات تراث طويل من الصعب التخلص منه أو القضاء علية ص (45).

ثم قال كيف نستطيع أن نرقى بفنوننا الشعبية إذا لم نحاول فهمها أو نتتبع سيرها وتطورها ص(119- 120) حيث أن الصناعات والحرف حتى آخر القرن الماضي كان الناس يحتاجونها في حياتهم اليومية حيث كان الحرفي في ذلك العهد يشعر بأهميتة وكيانه وشخصيته كفنان، ونحن الآن لا نستطيع المحافظة على تلك الصناعات كما كانت عليه ونريد لها تقويماً حتى تساير العصر. ونستطيع أن نضمن بقاءها، كما كانت عليه في الماضي. كيف يتأتى هذا ونحن لم نبدأ في أن نكوّن لها مساراً دراسياً شاملاً. سواء كان بيئياً أو تاريخياً أو فنياً. وأردف قائلاً : أن من أسباب نجاح التخطيط السليم لبقاء وإحياء الفنون الحرفية هو الارتباط الوحيد بالبيئة وهذا وحده الذي ينشئ طابعاً معاصراً لفنوننا الشعبية الحديثة دون إملاء لأننا بحاجة إلى خلق جيل من الحرفيين الذين يفكرون تفكيراً وطنياً حميماً وفي الوقت ذاته متطوراً مع اندفاعة القرن الواحد والعشرين .فإن وجد هذا الجيل سنجد بينهم من يمكنه الإتيان بالأصالة والمحافظة على التراث.

ويبين البحث المقدم من معرفي (2001) أنه مع إعداد الأرض لاستضافة الحياة حين أمرها الله أن تستضيف الإنسان الذي ميزه دون سائر خلقه بالعقل والتفكير وحب الاستطلاع غريزياً، أُنيطت بالإنسان مهمة الخلافة على هذا الكوكب، وهي مسؤولية تتمثل في إعمار الأرض والمحافظة على مقومات الحياة فيها، ومن المفارقات أن الإنسان هو أقل كائنات الله تكيفاً مع بيئة الحياة، لكنه في الوقت نفسه هو أكثرها تكييفاً للبيئة من حوله وتحويلاً لها خدمة لمنافعه ورفاهيته و طلباً لراحته. أن مسؤولية الاستخلاف على الأرض لا تتناقض مع مبدأ تكييف البيئة الطبيعية سعياً وراء الرفاهية وطلباً للمنفعة. وبناء عليه فإن الدارس يجد أن الإنسان الأردني ومع مر الأزمان استطاع أن يتفاعل مع البيئة بشكل تبادل المنفعة وما نجد من أعمال فنية حرفية في مجتمعنا ما هي إلا انعكاس لهذا التفاعل الإيجابي مع مقومات البيئة الطبيعية التي حبا

الله الأردن بها.

وفي الدراسة التي قام بها حسن (1993) نجد أنه خلص إلى أن التراث الإنساني هو محصلة تفاعله مع البيئة ويتمثل ذلك في المعطيات والهبات الطبيعية ذات الإمكانات المحددة، ويستطيع الإنسان في أن يطوع هذه المعطيات للوصول إلى طريقة حياة يرضى عنها .وبثبات هذه المعطيات مع مرور الزمن فإن البيئة ثابتة العطاء.

ومن خلال مجموعة هذه الدراسات الإنسانية للبيئة وأهمية دراستها والعوامل التي تساعد على إبقاء التجربة الإنسانية كي تسير في طريق الخير ومن أجل حماية التراث الإنساني الحرفي الخير فلا بد أن نقوم بهذه الدراسات التحليلية للحرف التقليدية الأردنية والظروف البيئية التي تمر بها من أجل بيان السلبيات والبحث عن طرق بديلة تساعد في تنظيم العلاقة بشكل سليم لما فيه خير الإنسان والتراث والفن.

أهمية البحث:

إن الفنون الحرفية التقليدية جزءاً هام من النشاط الإنساني حيث من خلال هذا المنتج الحرفي يستطيع الإنسان التعبير عن هويته الثقافية والحضارية في أسمى معانيها من جميع النواحي الفنية الجمالية والاجتماعية التعاونية والاقتصادية والإنتاجية والانتماء الوطني إلى المكان والزمان. لهذا يأتي هذا البحث لبيان وتوضيح وتأكيد أهمية هذه الفنون الإنسانية وتأثير الظروف البيئية المعاصرة فيها وما تحمله من اتجاهات مهنية وتقنية إلى جانب التغيرات المختلفة التي حصلت نتيجة التطور والتقدم في مختلف أوجه الحياة الإنسانية.

أهداف البحث:

معرفة الظروف البيئية الإيجابية التي ساعدت على استمرار الفنون الحرفية التقليدية البصرية ورعايتها وتشجيعها والاهتمام بها.

محاولة الاستفادة من العديد من الخبرات والقدرات في بناء قاعدة معلومات وبيانات يمكن الاستفادة منها في تطوير المشاريع المستقبلية.

بيان أهم الظروف التي أثرت على أنماط وخصائص المنتجات الحرفية التقليدية ومحاولة الاستفادة من التوجهات الناجحة وإيجاد الحلول العلمية لتفادي أية سلبيات يمكن أن تؤثر على حركة التطوير والإنتاج في المستقبل.

محاولة وضع تصور لخطة علمية إستراتيجية لتطوير هذا القطاع.

فرضيات البحث:

هناك مجموعة من العوامل والظروف البيئية تميزت بها الأردن من حيث البعد التاريخي والتراثي كان لها الدور الكبير في المساعدة على استمرار الإنسان في ممارسة هذه الفنون الحرفية التقليدية، يمكن حصرها والإستفادة منها وتعزيزها.

هناك مجموعة من الظروف البيئية المتغيرة والتي حصلت نتيجة التطور الطبيعي للحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في الفترة ما بين أوائل القرن العشرين وحتى الآن والتي يجب تحديدها ودراستها ومعرفة سلبياتها وإيجابياتها وكيفية التخطيط لتكييف حركة وتطوير وإحياء الفنون التقليدية الحرفية.

هناك اهتمام على المستوى الوطني والعالمي في الفنون الحرفية التقليدية وخاصةً في مجال دراسة العوامل البيئية المختلفة والتي يمكن أن تؤثر على استمرارية هذا النشاط الإنساني وذلك لمعرفة الإيجابيات وتفادي السلبيات التي يمكن أن تؤثر على هذا النشاط الثقافي والتراثي الهام.

منهج البحث:

سوف يتبع الباحث أسلوب جمع المعلومات الميدانية من خلال الملاحظة والاستقراء وتحليل المعلومات إلى جانب جمع المعلومات النظرية ودراستها وتحليلها وبخاصة ما كتب ونشر من بيانات ومعلومات دولية و وطنية حول البيئة الحرفية والتي لها صلة بموضوع الدراسة.

طرق وأساليب البحث:

الزيارات الميدانية لمحترفات ومشاغل الحرفيين وعمل المقابلات لمن لهم صلة وثيقة بهذا الموضوع من مسؤولين وحرفيين ومحاولة معرفة آرائهم واتجاهاتهم.

جمع الأبحاث والدراسات وتحليلها وخاصةً محاولة الاستفادة من الأبحاث التي قام بها الباحث في مجال الفنون الحرفية التقليدية والأردنية من توثيق وتقييم هذا القطاع.

مجتمع البحث:

ينصب جل اهتمام البحث حول مجتمع قطاع الإنتاج الحرفي التقليدي ومن له صلة بالإنتاج الحرفي سواءً كانوا أفراداً أو مؤسسات أوجمعيات حرفية.

حدود البحث:

إن هذا البحث محدد بدراسة العوامل والظروف البيئية و الأنثروبولوجية والاجتماعية والاقتصادية والجيلوجية والفنية الجمالية وتأثيرها على الفنون التقليدية الحرفية البصرية الأردنية.

أن البعد الزماني لهذا البحث محدد في الفترة مابين أوائل القرن العشرين وحتى أوائل القرن الحادي والعشرين.

تعريف المصطلحات:

البيئة:

يوجد للبيئة تعريفات كثيرة من أشهرها :الوسط المكاني الذي يعيش فيه الإنسان الذي يؤثر فيه مجموعة الظروف والعوامل الفيزيائية والعضوية وغير العضوية التي تساعد الإنسان والكائنات الأخرى على البقاء و دوام الحياة .الأحوال الفيزيائية والكيميائية والإحيائية للإقليم الذي يعيش فيه كائن حي حيث أن البيئة مفهوم شامل للموارد التي هياها الله للإنسان ، فهي تشمل الأرض والغلاف الجوي والثروات الموجودة في باطن الأرض وعلى ظهرها، والعوامل المؤثرة في هذه المكونات وتفاعلاتها مع بعضها البعض كافة خطاب .(2004 أما) الخطاط (1990) فقد عرف البيئة المعاصرة بأنها نظام متكامل يتألف من مجموعة من العوامل والعناصر الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية والحضارية التي تحيط بالإنسان ويحيا فيها .بل أنها

الإطار الذي يعيش فيه الإنسان ويحصل منه على مقومات حياتية من غداء وكساء ودواء ومأوى ويمارس فيه علاقاته مع أقرانه من البشر.

الحرف التقليدية الفنية التشكيلية:

لقد عرفها الحيدري (1984) ص 25 أنها تتمثل في الفنون والصناعات والحرف وجميع الأعمال اليدوية التي يقوم بها الفنانون، وكل ما يتداول بين الناس من فولكلور حيث تمثل جميع ما يستعمله الإنسان في حياته اليومية كأدوات المنزل والحقل والعمل والأزياء، وكل ما يستعمله الإنسان في المناسبات الدينية والروحية والاجتماعية وما يمارسه في أوقات الحروب والتسلية والترويح. وتستعمل الفنون التقليدية كوسيلة من وسائل العيش والإنتاج وطريقة من طرائق العمل والتفكير والشعور وتساعدهم على إشباع حاجاتهم المادية المعنوية.

تنوع الظروف البيئية وتأثيرها على طبيعة المنتج الحرفي التقليدي الأردني:

على الرغم من صغر المساحة الجغرافية للأردن مقارنةً بالدول المجاورة إلا أنه يتمتع بتنوعٍ كبيرٍ من حيث التضاريس والمناخ والتوزيع الجيلوجي لطبيعة المواد والتنوع في أنواع الغطاء النباتي والإنتاج الحيواني. وعليه فإننا عند دراسة هذا التنوع وتأثيره على حركة وتوزيع النشاط الحرفي من منطقة إلى أخرى نلاحظ أن هناك تنوعاً كبيراً في طبيعة هذه الحرف ومنتجاتها. فعلى سبيل المثال هنالك المناطق الجبلية ذات الصخور المتنوعة الألوان والخواص حيث جبال مناطق الجنوب المتميزة بصخورها الجرانيتية وألوانها المختلفة كالأسود والوردي في منطقة العقبة، وجبال الشراه والكرك التي تتصف صخورها بالقساوة ولونها المائل إلى اللون الرمادي، بالإضافة إلى وادي موسى حيث تتواجد هناك الصخور الرملية ذات الألوان الجميلة والتي دفعت الإنسان إلى الحفر بها وإقامة مدينة البتراء ذات الألوان المتنوعة الوردية والتي أبهرت العالم بجمالها وسحرها وكانت من أسباب دفع الإنسان قديماً إلى استغلال هذه المواصفات الجمالية وبناء هذه المدينة المتكاملة المرافق الحضارية من معبد وخزنة وكنيسة ومسرح ومذبح. واذا اتجهنا شمالاً نجد جبال مدينة عجلون وجرش ذات الطبيعة الخلابة والصخور الجميلة بألوانها البيضاء وخواصها الفيزيائية والميكانيكية من حيث سهولة تشكيلها وحفرها حيث أقام الإنسان المدن الرائعة جمالياً وهندسياً كمدينة جرش الرومانية وقلعة عجلون الشامخة ثم شمالاً إلى مدينة إربد بسهولها الجميلة وألوان تربتها الحمراء وأحجارها البركانية المتناثرة هنا وهناك والتي دفعت الرومان إلى إقامة مدينة أم قيس على شفا أغوار وادي الأردن ذات الإطلالة الرائعة.

وإذا ما اتجهنا إلى الناحية الشرقية، نجد جمال الصحراء برمالها وواحاتها في مدينة الأزرق التي أقام الإنسان فيها القصور الصحراوية الأموية ومن أجملها قصر عمره وغيره، ومع الإستمرار بالإتجاه نحو الشرق نجد أيضاً وفي وسط الصحراء استخدام الإنسان للصخور البركانية السوداء في إقامة القلاع العريقة كقلعة أم الجمال التي كانت يوماً مركزاً حضارياً يصلُ الشرق بالغرب والشمال بالجنوب.

ومن هنا نجد أن الإنسان قد سخر هذا التنوع والكم الهائل من أنواع الحجارة والصخور في إقامة المدنية والحضارة وصنع منها أجمل التحف الفنية من تماثيل وزخارف رائعة على واجهات القصور وتيجان الأعمدة وحتى أنه قام بصناعة الأواني الحجرية والحلي الجميلة فكانت هذه الصورة الجميلة من التفاعل الإنساني الصادق مع الطبيعة الخلابة.

عندما كان الباحث يقوم بإعداد الدراسة التوثيقية للحرف التقليدية اليدوية طبازة (2000) وكان يتجول في ربوع الأردن ويتأمل ويتفكر كيف سخر أجدادنا هذه الطبيعة في إقامة إبداعاتهم المعمارية ذات الصفات الحرفية العالية فإنه كان يعجب لقدراتهم ومهاراتهم في كيفية تكيفهم مع البيئة واستغلالها بالشكل الأمثل.

فقد استغل الحرفي الطبيعة بشكل رائع ومدروس وأبدى قدرا كبيرا من الذكاء، فمثلاً صانع المهباش الذي يعيش في منطقة المزار الشمالي ذات الغابات الواسعة، اختبر أنواع الأخشاب ووجد منها النوع القاسي جداً مثل شجر البطم وشجر الزان حيث صنع منه جسم المهباش، أما يد المهباش فقد قام بصناعتها من الخشب اللين مثل خشب شجر الليمون والخروب والتوت.

أما حرفة القش والقصل فقد وجد أن نساء الشمال وسهول الجنوب قد أجدن هذه الحرفة حيث تكثر زراعة الحبوب مثل القمح والشعير فيقمن النساء بجمع وإعداد القصل وتجفيفه وتخزينه إلى أيام الشتاء، حيث يتوفر لهن الوقت الكافي للقيام بنسجه وصناعة الأطباق والأواني الجميلة والتي كانت تستخدم في حياتهن اليومية . هذا ويعتبر هذا النوع من الصناعات الحرفية صديقة للبيئة حيث يتم استخدام المخلفات في إنتاج الأواني.

أما مناطق الأغوارالتي تتوفر فيها مصادر المياه حول مجرى نهر الأردن فقد دفعت الإنسان ليبتدع صناعة السلال من أعواد القصب، والتي نوع فيها في الأشكال والأحجام والوظائف المختلفة لمثل هذه المنتجات كأواني جمع الفاكهة والخضراوات وتخزين الحبوب إلى جانب بناء خلايا النحل وصناعة صناديق الهدايا .كما استغل الإنسان توفر أوراق شجر الموز ذات الأوراق العريضة والجميلة اللون والملمس حيث قام بتجفيفها ليصنع منها الحبال التي استخدمها في صناعة وتشكيل الأواني والسلال المختلفة الأشكال والأحجام.

وعند الصعود من مناطق الأغوار إلى سهول مدينة إربد وجبال عجلون ذات الجو الجميل والتربة الحمراء وانتشار مزارع شجر الزيتون حيث خواص اخشابها اللونية الجميلة ورائحتها وسهولة الحفر عليها، فقد أبدع الحرفيون في حفر التحف الجميلة التي تمثل رموزاً دينية وتراثية مختلفة. كما كان لوجود الكثير من مزارع تربية الأغنام والأبقار الأثر الكبير لوجود حرفة صناعة الجواعد والجلود في مدينة إربد حيث استغل الحرفيون توفر الجلود وقاموا بصناعة أجمل قطع الأزياء من فروات وقطع زينة بمواصفات رائعة، ومن صوف هذه الحيوانات قاموا بنسج بيوت الشعر (الخيام) والتي عادةً يستعملها سكان الصحراء البدو كمنازل لهم . فمن هذه الحيوانات يأكلون ويشربون ومن جلودها وفرائها يصنعون ملابسهم وينسجون بيوتهم حيث التكامل الطبيعي مما يشكل قمة الإنسجام والتناغم بين البيئة والإنسان.

وترى عند زيارة مدينة جرش وجبالها الألوان الرائعة ذات الجمال والتناغم من أصفر وبيج وأحمر. ولو قدر لك أن تزورمتحف المدينة الصغير فسوف تجد أن الإنسان قد اكتشف أنواع الطينات الفخارية المختلفة وقام بتشكيل أجمل الأواني الفخارية. ولقد انتقلت هذه الحرفة من الأجيال القديمة إلى الأحفاد فنجد هناك صناعة الفخار الشعبي ذات الأشكال المتنوعة والتصاميم ذات الوظائف المختلفة، فمنها ما صُنع لحفظ الماء والزيوت وأواني الطبخ وأحواض الزراعة وغيرها.

أما حرفة صناعة اللوحات الفسيفسائية فإنها قصة حضارة بادت ثم سادت. فما أن تحفر هنا وهناك لتقوم ببناء منزل أو مسجد فإنك تفاجأ بوجود لوحات حجرية تغطي المسطحات الأرضية صنعها الأجداد

لتكون أرضيات جميلة لقصورهم وقلاعهم وغطتها الأيام تحت التراب .وقد اكتشف أجدادنا واستغلوا القيم الجمالية في ألوان الصخور المختلفة فقطعوها قطعاً متساوية مربعة الشكل ونسجوا منها أرضيات سجلوا التاريخ بها لهذه المنطقة كما هو في مدينة مادبا وهكذا انتشرت هذه الحرفة مع الزمن واكتشفت الأجيال فيما بعد أن هذه الحرفة جديرة بأن تعود إلى الحياة وتنبه لهذا الموضوع مجموعة من أبناء الوطن وبدأوا في حركةٍ لإحياء هذه الحرفة وتعلمها، وقاموا بتأسيس أكاديمية وطنية لتعليمها في مدينة مادبا. فكم هو جميل أن نتعلم من تراثنا الحضاري ونعيد إحياءه.

ومن البرامج الحكومية أيضاً في الحفاظ على البيئة الطبيعية في الأردن وإعادة الحياة البرية، إقامة المحميات في أنحاء مختلفة من المناطق الجبلية والصحراوية كمحمية ضانا في الجنوب ومحمية الشوملي في عجلون ومحمية واحة الأزرق ومحمية البتراء، حيث تم إعادة أنواع الحيوانات لكل منطقة مثل تربية النعام في واحة الأزرق وتربية الغزلان والأيائل في محمية ضانا والشوملي في عجلون.

وبعد إنتشار هذه المحميات، وجد الإنسان أنه يمكن الإستفادة من منتجات هذه الطيور والحيوانات حيث أقامت جمعية الأزرق مشروع زخرفة بيوض النعام والحفر عليها بمواضيع مستوحاة من البيئة الأردنية وأصبحت هذه الحرفة ذات مردود مادي جيد على النساء اللواتي يقمن بها .أما في محمية ضانا جنوباً فقد تم استغلال الطبيعة وفطرة الإنسان في إقامة مشروع حرفي لصناعة الحلي الجميلة وذلك باستغلال الأحجار الطبيعية وصقلها وتشكيلها. ولقد تطور المشروع إلى تعليم فن الصياغة واستخدام المعادن مثل الفضة وغيرها وهو مشروع متميز تم فيه استغلال البيئة وفطرة الإنسان في تصميم وإعداد المشغولات من الحلي والمجوهرات الشعبية التقليدية.

أما حرفة تعبئة زجاجات الرمل والتي تعتبر بلا منازع حرفة ابتدعها الإنسان الأردني وتميز بها عما هو موجود من الحرف في العالم، حيث تفاعل الإنسان مع البيئة بجمالية صخور وادي موسى والتي اكتشفها أجدادنا قبل آلاف السنين ودفعتهم لحفر مدينة البتراء هي ذاتها الظروف البيئية التي دفعت إنسان وادي موسى ليبتكر ويبدع حرفة تعبئة زجاجات الرمل، حيث استخدم ألوان صخور الوادي ذات التنوع اللوني الرائع والمنسجم مع فطرة هذا الإنسان وبحسٍ مرهف ابتكر طريقة بسيطة للرسم داخل الأوعية الزجاجية بمختلف الألوان والمواضيع المستوحاة من البيئة والتي ما أن يشاهدها المواطن أو السائح حتى يستغرب من قدرة هذا الإنسان البسيط في التكيف مع البيئة واستغلالها الإستغلال الأمثل.

لقد قام الباحث بزيارات ميدانية استطلاعية لمجموعة من مشاغل وورشات العمل التي يمارس بها الحرفيون نشاطاتهم مُسجلاً هذه الملاحظات التي لا بُد من الأخذ بها عند التخطيط المستقبلي لوضع برامج الحماية والمحافظة على مثل هذه الأنشطة الإنسانية التراثية الحرفية الفنية، حيث قسم الباحث البيئة الحرفية إلى عدة مجالات وعلى النحو التالي:-

١ . البيئة الصحية.
٢ . البيئة الفنية والجمالية.
٣ . البيئة التعليمية.
٤ . البيئة الإقتصادية.

أولاً :البيئة الصحية:

إن معظم المشاغل والمحترفات التي قام بدراستها الباحث تخلو من شروط الأمان الصحي حيث عدم توفر شروط البناء الجيد الذي يوفر للإنسان الأمان، فقد لاحظ الباحث أن العديد من مشاغل الحرفيين يتواجد ضمن المباني القديمة والتي لا تتوفر فيها ظروف التهوية والإنارة والصرف الصحي إلى جانب استخدام الحرفيين أماكن السكن الخاصة بهم وبعائلاتهم لممارسة نشاطاتهم مما يؤدي إلى إزعاج البيئة المحيطة من مساكن ومحلات وغيرها بالإضافة إلى الخطورة التي قد تنتج أحياناً من استخدام الحرفيين للمواد الكيماوية وما يترتب عليها من روائح كريهة بالإضافة إلى ما يصدر عن هذه النشاطات من أصوات عالية وضجيج للبيئة السكنية المحيطة بهم .فعلى سبيل المثال تتواجد معظم مشاغل الصياغة في أحد شوارع العاصمة عمان وهو شارع الشابسوغ وهذه المشاغل توجد ضمن العمارات المجاورة لسوق الصاغة، والمعروف أن المشتغلين بهذا النوع من الإنتاج الحرفي لا بد لهم من استخدام المواد الكيماوية الخطرة في تجهيز وإنتاج قطع المجوهرات بالإضافة إلى روائحها الكريهة التي تؤذي سكان المنطقة المجاورة وتشكل خطراً عليهم.

كما لاحظ الباحث أيضاً أن الحرفيين العاملين في صناعة السيوف والخناجر في قرية علعال في محافظة إربد معظمهم يقيم مشاغلهم داخل البيوت السكنية وكثيراً ما يتردد الأطفال على محيط ومكان العمل بل ويعملون أيضاً في كثير من الأحيان في إنتاج مثل هذه القطع علماً بأن الحرفي يستخدم في حرفته تقنيات اللحام والحفر مستخدماً المواد الكيماوية الخطرة والتي يمكن أن تودي بحياة الإنسان إذا لم يستخدم شروط الحماية الصحية والتي هي غالباً معدومة وغير متوفرة.

كما لاحظ الباحث أيضاً أن مشاغل إنتاج خيوط النسيج التي تقوم باستخدام الصبغات الكيماوية لتلوين الخيوط تخلو من شروط الأمان حيث لا تتوفر التهوية المناسبة إلى جانب عدم استخدام أو توفر الأجهزة والأقنعة الواقية من الغازات السامة أثناء العمل . بالإضافة إلى أن الأنوال المستخدمة في إنتاج المنسوجات لا تتوفر فيها التصاميم الملائمة للشروط الصحية مما يؤدي في كثير من الأحيان إلى إصابة الحرفيين بأمراض آلام الظهر.

ومن الملاحظات التي شاهدها الباحث أثناء زيارته إلى مشاغل صناعة الفخار الشعبي هي استخدام المخلفات والقمامة كوقود لحرق هذه المشغولات إلى جانب استخدام الزيوت العادمة وما ينتج عن حرقها من تلوثٍ للبيئة، بالإضافة إلى عدم توفر أية ظروف صحية للعمل حيث يعمل معظم الحرفيين بشكل مباشر بأيديهم في إعداد الطينات وتصنيعها ومن ثم تشكيلها دون استخدام أية وسائل واقية للجلد مما يسبب لهم العديد من الأمراض الجلدية المزمنة مثل أمراض الصدفية وغيرها.

من هنا يؤكد الباحث أن معظم مشاغل الحرفيين تحتاج إلى تحسين لظروفها الصحية من حيث استخدام المكان المناسب والأدوات المناسبة من الواقيات وأجهزة التهوية والإسعاف الأولي والحريق وغيرها من شروط السلامة الصحية إلى جانب توفير نظام تأمين صحي مناسب وشمول الحرفيين جميعاً بمظلة نظام الضمان الإجتماعي.

ثانياً :البيئة الفنية الجمالية

إن معظم المنتجات الحرفية الشعبية تحمل في طياتها صفات الأعمال الفنية بل إنها تُعد ضمن الفنون التشكيلية البصرية التقليدية والتي يستخدم فيها الحرفي الخامات ذات المواصفات والألوان والملامس الجميلة في مخرجاتها بالإضافة إلى الحس الفني المرهف لدى العديد من الحرفيين من حيث إختيار الخامات المناسبة بألوانها وملامسها وأحجامها ، وتعتبر هذه الخبرة عادةً متوارثة من جيل إلى جيل.

أن هناك اتفاقاً عاماً على نوعية التصاميم والألوان المستخدمة وقلما يتم التطوير أو التعديل فيها. فقد لاحظ الباحث من خلال دراسة تصاميم المنتجات الحرفية الشعبية أنه ومع مرور الزمن يكون هناك أنماط من الأشكال والألوان السائدة من الزخارف وغيرها .فعلى سبيل المثال نرى في اختيار ألوان الأزياء الشعبية وتصاميم الوحدات الزخرفية أنها مستوحاة من البيئة الطبيعية التي يعيش فيها الحرفي والتي يستوحي ألوانها من الطيور والزهور الموجودة في بيئته وغالباً ما نرى أن هناك انسجاماً وتناغماً في أنماط الوحدات الزخرفية وتصاميمها المستخدمة في إخراج معظم أنواع المنتجات الحرفية فنجد أن هناك تكراراً وتشابهاً كبيراً ما بين الوحدات الزخرفية المستخدمة في زخرفة المهباش والوحدات الزخرفية المستخدمة في الأزياء أو تعبئة الزجاجات الرملية أو المنسوجات والبسط .هذا وقد تبين للباحث من خلال الإطلاع على بعض المشاريع الإنتاجية المنظمة والتي تم دعمها وإدارتها من قبل جهات أجنبية أنه تم إدخال العديد من الأنماط والتصاميم والألوان التي لم تكن موجودة أصلاً ضمن الموروث الشعبي التقليدي حيث تم الإستعانة بها تحت ما يسمى بالتطوير والتحديث .ويرى الباحث أن مثل هذه التوجهات تسبب القلق والإزعاج لدى العاملين في مجال الفنون الحرفية الشعبية حيث أنها تعتبر مخرجات غريبة على التراث والعادات والتقاليد وإن تراثنا يحوي الكثير مما يمكن دراسته واستنباط وإبداع تصاميم جديدة بشرط أن تعكس الهوية التراثية والوطنية الأردنية. فقد لاحظ الباحث أنه تم استخدام تصاميم وألوان لا تنسجم مع البيئة والحس الإنساني للمواطن مما قد يؤثر سلبياً في المستقبل على توثيق الهوية التراثية للمنتجات الحرفية.

ثالثاً :البيئة التعليمية

إن الدارس لتاريخ الفنون الحرفية الشعبية يدرك أن الأسلوب المتبع في تعليم تلك المهارات والخبرات يكون عادةً عن طريق ملازمة طالب العلم إلى الحرفي العامل أو الممارس وقد يكون هذا الشخص قد حصل على لقب (المعلم) أو شيخ الصنعة ويعتبر كحرفي ذا خبرة طويلة ويتقن المهارات والمعارف بشكل جيد. ومن هنا من يرغب في تعلم الحرفة فما عليه سوى العمل والتدريب تحت إشراف هذا النوع من أصحاب الخبرات. كما يقوم الحرفي غالباً بتعليم صنعته إلى أبنائه أو أفراد أسرته أو من هم أصحاب ثقة يمكن أن يؤمنهم على أسرار الصنعة، بل أن العديد من الحرفيين يصرون على أن تكون الحرفة وخبراتها وأسرارها حكراً على أفراد أُسرهم، وقد تبين أن عزوف أفراد أُسر العديد من أصحاب الحرف عن تعلم حرفة آبائهم وأجدادهم كانت سبباً في ضياع واندثار الكثير من الخبرات والمهارات الفنية وإذا استمر الحال على ذلك فسوف يأتي اليوم الذي تصبح فيه هذه الفنون شيئاً من الماضي.

وقد لاحظ الباحث أن معظم الحرفيين الوافدين سواء كانوا عرباً أو أجانب يمتنعون عن تعليم مهاراتهم لأبناء البلد الذي يعملون به وذلك من منطلق المحافظة على أسرار حرفتهم وأن لا يكون ابن البلد منافساً لهم وتبقى فرص العمل مهيئة لهم طالما لا يوجد من ينافسهم من المواطنين.

إلى جانب ذلك فإن غياب دور المؤسسات الرسمية عن القيام بواجبها نحو عمل البرامج التعليمية الخاصة بتعليم هذه الحرف التقليدية والإعتماد على المؤسسات والجمعيات الخاصة بتحمل هذا الواجب قد أدى إلى ضعف في إعداد البرامج العلمية المنظمة، والتي تضمن توفير الوسائل والأدوات والمواد والأهم من ذلك إعداد الأشخاص المؤهلين والمدربين على التعليم بشكلٍ جيد.

ولقد لاحظ الباحث أن هناك ضعفاً عاماً وإهمالاً في المناهج التعليمية على اختلاف مراحلها بموضوع الإهتمام في تعليم الحرف أو حتى إلقاء الضوء ولفت انتباه الطلبة إلى أهمية الفنون الشعبية الحرفية ... طبازه (1996).

ومن هنا نجد أنه من الضروري إعادة النظر في جميع البرامج التعليمية والتدريبية المتعلقة بتعليم الحرف التقليدية الأردنية فإذا استطاعت كافة الجهات الرسمية والشعبية توفير البيئة المناسبة نستطيع المحافظة على هذا النشاط الفني والثقافي الإنساني لما فيه من أهمية للمحافظة على الهوية الوطنية والثقافية.

رابعــاً: البيئــة الإقتصــادية

إلى جانب اعتبار المنتجات الحرفية التقليدية جزءاً هاماً من الفنون التراثية الشعبية والثقافة الوطنية وبأنها تعكس المستوى الثقافي والحضاري للأردن، فإن هذه المنتجات الحرفية تعتبر أيضاً جزءاً من مصادر الدخل الوطني لا سيما وأن الأردن يعتمد بشكل أو بآخر على الحركة السياحية التي ترتبط الفنون الحرفية بها كأحد مصادر الدخل بما توفره من عملات صعبة لخزينة الدولة .وعلى عكس ذلك فقد لاحظ الباحث أن حركة رواج وازدهار قطاع المنتجات الحرفية يتأثر كثيراً في الظروف الإقتصادية والسياسية التي تمر بها الأردن والمناطق المجاورة، فعندما يسودها الأمن والهدوء يزدهر هذا القطاع ونجد هناك إقبالاً على العمل به، وبما أن هذا القطاع متشعب في إتجاهات تأثيره على أفراد المجتمع من حيث أن هناك أفراداً يعملون على إنتاج هذه المنتجات، وآخرين يقومون بتوفير المواد الخام، وغيرهم من يقوم بتسويق المنتجات. ومن هنا نستنتج استفادة قطاع كبير من أفراد المجتمع بشكلٍ أو بآخر عند رواج وازدهار هذا القطاع الإقتصادي الهام، وكسادِه عند حدوث أية قلاقل وعدم استقرار . مما يضطر الكثير من العاملين في هذا القطاع إلى ترك العمل والبحث عن مجالات رزقٍ أخرى.

من هنا نرى أن عدم وجود السياسات الإقتصادية المدروسة والمنظمة نحو الإستفادة من هذا القطاع الإنتاجي عائد إلى عدم وجود الجهات الرسمية المختصة والمنظمة لهذا القطاع الحرفي الهام مما ينعكس بشكلٍ أو بآخر على البيئة الإنتاجية والتسويقية، فقد لاحظ الباحث إهمالاً شديداً من قبل المؤسسات الحكومية ودورها في تنظيم الأفراد العاملين في هذا القطاع ومحاولة إيجاد نقابات ومؤسسات مختصة به مقارنةً بما هو موجود في الدول العربية أو الأجنبية .فهناك حاجة ملحة لتوفير جهات تعتني بهذا القطاع من جميع جوانبه من حيث توفير الخامات ومراقبة المنتجات ومواصفاتها وأسس الجودة وطرق الإنتاج والتسويق المنظم سواء في الأسواق الداخلية أو الخارجية وتوفير وسائل التدريب والتعليم. وأنا أقترح توفير مؤسسة مستقلة متخصصة تعتني بهذا القطاع وتضع القوانين والأنظمة المنظمة لكافة نواحي الإنتاج والتسويق والتعليم والتدريب لما فيه مصلحة البلد من كافة جوانبها الإقتصادية والثقافية والإنسانية.

تأثير الظروف والمتغيرات البيئية على المنتج الحرفي الأردني:

من خلال العرض السابق الذي تم فيه شرح واستعراض الظروف البيئية والإنسانية التي ساعدت وعملت على إحياء واستمرار الحرف التقليدية في الإنتشار الإنتاج فأنني أشرح وأستعرض العوامل التي دفعت إلى استحداث العديد من التغييرات في أنماط وخصائص المنتج التقليدي الأردني:-

أولاً : إن شروط إقامة بعض الصناعات الحرفية في أماكن محددة قد حصل عليه تغير وفق المتطلبات البيئية الصحية والإجتماعية والإنتاجية، ومثال على ذلك، فقد اضطر الحرفيون العاملون في مجال إنتاج الفخار الشعبي إلى نقل مشاغلهم خارج المدن لما كانت تسببه مشاغلهم من إيذاءٍ للبيئة حيث كانت تستخدم المواد العادمة مثل الزيوت وذلك في عملية حرق المشغولات الفخارية مما اضطر الحكومة والجهات الصحية إلى ترحيل هذه المشاغل إلى خارج المدن مثل منطقة العش جنوب مدينة الزرقاء.

كما قامت بلدية اربد بترحيل مشاغل الدباغة) صناعة الجلود والفراء (إلى خارج المدينة إلى منطقة الأغوار الشمالية حيث تتوفر المياه ولا تسبب للبيئة أية أضرار كما كان يحدث وهي داخل مدينة إربد.

ثانياً : لقد تم منع العديد من الحرفيين من اللجوء للحصول على الخامات البيئية من مصادرها الطبيعية التي كان يحصل عليها الحرفي مما دفعه إلى التفكير في الهجرة وترك الحرفة أو التفكير في إيجاد البدائل لهذه الخامات. ولقد كان لمثل هذا الوضع التأثير السلبي على بعض نوعيات المنتجات الحرفية، فعلى سبيل كان لمثل هذا الوضع التأثير السلبي على بعض نوعيات المنتجات الحرفية، فعلى سبيل المثال لقد تم منع الحرفيين المتواجدين في منطقة وادي موسى والذين كانوا يحصلون على خامة الرمل الملون من صخور مدينة البتراء وما حولها وقد كان سبب المنع هو المحافظة على جمالية المواقع الأثرية وعدم العبث بها، مما اضطر هؤلاء الحرفيين إلى استخدام الألوان الصناعية في إعداد الرمل المستخدم في إنتاج ما يسمى بزجاجات الرمل الملون مما كان له التأثير السلبي على نوعية المنتج فيما بعد .إلى جانب منع صانعي أداة المهباش من سكان مدينة المزار الشمالي من قطع أشجار البطم والزان من غابات المنطقة حيث كانت هذه الأخشاب من النوع المفضل لصناعة المهباش والعديد من التحف والأشكال الفنية الخشبية مما دفع العديد من الحرفيين الى الإمتناع والعزوف عن الإستمرار في الإنتاج والآن تعتبر هذه الحرفة من الحرف المهددة بالإندثار لعدم توفر البدائل من الخامات والتي يمكن أن تتوفر للحرفيين وتشجعهم على الإستمرار في العمل والإنتاج.

ثالثاً: لقد كان للحركة السياحية تأثيركبير على المنتجات الحرفية فكان منها التأثير الإيجابي ولآخر سلبي. وأما الإيجابي فهو تحول العديد من المنتجات الحرفية إلى منتجات سياحية وهذا النمط من الإنتاج أصبحت له خصائص مميزة وكثيراً ما تخرج عن المألوف. وهناك تأثيرات كبيرة تفرضها مزاجية الزبون أو السائح القادم من الخارج والذي غالباً ليس لديه المعلومات الكافية عن العادات والتقاليد والرموز التراثية الأردنية ويهمه في إنتاج هذه الأنماط من التحف الفنية أن تفي أغراضه ومزاجيته الشخصية . وفي العادة يرضخ الحرفي إلى مسايرة هذه المتطلبات ويقوم بتغيير التصاميم والألوان لتفي بذوق هذا السائح.

أما الجانب الإيجابي لهذا التوجه فهو العائد المادي من بيع هذه المنتجات مما ساعد العديد من العائلات الحرفية الأردنية في تحسين أوضاعها المعيشية حيث تعتبر هذه الحرف المصدر الوحيد للدخل .إلى جانب ذلك فهناك إيجابية أخرى تتمثل في نشر التراث والفنون الحرفية إلى كافة أنحاء العالم مما يعكس الصورة الحضارية الصادقة عن الإنسان الأردني.

رابعاً: إن الظروف البيئية السياسية والإقتصادية أصبحت تلعب دوراً كبيراً في حركة الإنتاج الحرفي، حيث اعتماد العديد من الصناعات الحرفية على التسويق السياحي وتقلب أوضاع المنطقة السياسية من حين إلى آخر حيث أن الإستقرار السياسي يؤدي إلى رواج النشاط السياحي والعكس يكون عند حصول القلاقل السياسية في المنطقة مما يكون له تأثير سلبي على الحركة السياحية وينعكس ذلك على ترويج وبيع المنتجات الحرفية السياحية.

خامساً: ظروف التدريب والتعليم المتاحة للعاملين في هذا القطاع . لقد كان هذا القطاع من الإنتاج الحرفي يعتمد على أساليب التدريب التقليدية حيث كان الحرفي يقوم بتعليم مهنته وأسرارها في الغالب إلى أبنائه أو أحد أقاربه ونادراً ما يقوم بتعليم الغرباء أسرار وخفايا المهنة. ولقد كان للتغيير الذي حصل في الظروف الإقتصادية التي مرت بها المنطقة في السنوات العشرين الماضية. أن عزف العديد منهم عن متابعة الإستمرار في العمل حتى أن العديد منهم قد امتنع عن تعليم أبنائهم لهذه الحرف مما دفع الجهات الرسمية الحكومية إلى التدخل وإنشاء ودعم وتشجيع بعض المؤسسات الرسمية والخاصة إلى إقامة المشاريع التعليمية والإنتاجية بدافع المحافظة على هذه الفنون الشعبية واحيائها مثل مشروع مؤسسة نور الحسين، وتصاميم نهر الأردن والعديد من الجمعيات الخيرية وغيرها والتي أخذت على عاتقها تطوير وتعليم المهارات الحرفية. ومن خلال متابعة الباحث طبازه (2000) فقد لاحظ أن هذه المشاريع كان لها تأثيرها الإيجابي من حيث الإستمرار في تعليم المهارات الحرفية وتطوير العديد من التصاميم التقليدية. وتتبنى هذه المؤسسات تسويق المنتجات الحرفية على المستوى المحلي والعالمي .أما التأثير السلبي فهو اعتماد هذه المشاريع على الدعم الخارجي في تغطية نفقاتها الإقتصادية مقابل إتاحة الفرصة لهذه الجهات المانحة التدخل في تغيير أنماط التصاميم الوطنية التراثية، ويخشى الباحث أن تكون وراء هذه الإتجاهات دوافع خاصة مثل محو الخصائص التراثية الوطنية والقضاء على الرموز الشعبية مما يؤدي إلى طمس الهوية الوطنية وتحويل هذه المنتجات إلى أشكال وتصاميم أبعد ما تكون حضارياً عن البيئة والحياة والإنسان الأردني. وهذا الموضوع يجب التنبه له ووضع الخطط التعليمية الخاصة به وعدم السماح لهذه الجهات الخارجية باستغلال الحاجات المادية وأن نعمل على منع كل محاولات القضاء على مقوماتنا التراثية والإنسانية الحضارية.

سادساً: صدور العديد من القوانين والانظمة الدولية مثل قانون حماية عمالة الأطفال من العمل في الأشغال الشاقة والتي تبنتها العديد من المنظمات الدولية مثل اليونسيف ومحاولة تطبيقها عالمياً حيث وضع قانون منع الأطفال من العمل في المشاغل والمصانع إلى جانب قيام العديد من دول العالم وضع قوانين تمنع بمقتضاها استيراد المنتجات من الدول التي تسمح باستخدام عمالة الأطفال في المشاغل والمصانع . ومن المعروف أن العديد من الصناعات الحرفية تتطلب أن يتم تعليم الأطفال على هذه المهارات الفنية منذ الصغر،مما دفع العديد من المجتمعات إلى وقف هذه البرامج التعليمية لتفادي تعرضها لمثل هذه العقوبات الدولية .وعند محاولة الإستعاضة عن استخدام عمالة الأطفال بعمالة الكبار تبين أن هناك صعوبة في برامج التعليم وذلك بامتناع الكبار عن ممارسة أو محاولة التعلم هذه المهارات الحرفية والتي كانت في الغالب تمر بمراحل متعددة للتعلم منذ الطفولة وحتى الكبر ليستطيع الإنسان إتقانها.

سابعاً: التغير البيئي والمناخي الذي أثر على المنطقة في العقد الماضي حيث أن العديد من الخامات والمواد المستخدمة في إنتاج الفنون الحرفية يعتمد على المصادر البيئية وإن التغير المناخي قد أدى إلى التأثير على بعض هذه المنتجات، فعلى سبيل المثال الجفاف وعدم هطول الأمطار كان له تأثير سلبي على محصول القمح والشعير والذي كان يستخدم الحرفي منه فصائل القصل المستخدمة في أعمال ومشغولات الأطباق والأواني إلى جانب انعدام توفر المراعي مما أدى إلى التأثير على تربية الثروة الحيوانية وخاصة الأغنام التي كان يحصل منها الحرفي على خاماته مثل الجواعد والفروات وشعر الحيوانات للغزل والنسيج مما أدى إلى صعوبة الحصول على هذه الخامات والمواد مما أدى إلى التأثير السلبي على نوعية المنتج إلى جانب ابتعاد العديد من الحرفيين عن الإستمرار في العمل والعزوف عنه ومحاولة إيجاد فرص عمل لا تتأثر بمثل هذه العوامل البيئية.

ثامناً: من العوامل المؤثرة في هذا القطاع هو الرعاية الرسمية والحكومية والمتمثلة بوزارة الثقافة ووزارة السياحة والتخطيط. فمن المؤسف القول بأن هذه الوزارات والدوائر الحكومية لم تقم بدورها وواجبها المرجو منها في دعم هذا القطاع من المنتج البصري التراثي الحرفي مما كان له التأثير السلبي الكبير حيث اعتمدت هذه الوزارات على بعض المؤسسات غير الرسمية والجمعيات التي تقوم بتطوير هذا القطاع ودعمه وهذا لم يكن كافياً وعلى المستوى المطلوب مقارنة بما هو موجود في بعض الدول العربية المجاورة.

ففي مثل هذه الدول توجد مؤسسات ودوائر كاملة بل وزارات متخصصة برعاية هذا القطاع وتطويره والنهوض به من كافة النواحي الإنتاجية والتسويقية والتعليم والتدريب.

تاسعاً: إن لموقع الأردن الجغرافي المتميز في وسط بلاد الشام والإستقرار الأمني السياسي الذي تعيشه البلاد إلى جانب التقلبات والأحداث السياسية والإقتصادية التي حدثت في الدول المجاورة والتي كانت سبباً في العديد من الهجرات واستقرار العديد من الحرفيين الوافدين والمهاجرين في الأردن مكان لكل ذلك تأثيره على حركة الفنون الحرفية التقليدية الأردنية، وكنتيجة لهذه الحركة في كثير من الحالات حصل استيعاب واستفادةً من هذه المهارات الحرفية الفنية داخل المجتمع الأردني الحرفي.

عاشراً: إن تحول العديد من المشاريع الإنتاجية الحرفية إلى اتباع أنماط إدارية حديثة في أساليب التعامل مع أصحاب الحرف والتقيد بأنظمة العمل والعمال بحجة حماية حقوقهم أسهم في استغلال الأيدي العاملة في الحصول على الكم الأكبر من الإنتاج على حساب صحة ورفاهية الإنسان حيث أن هذه الأنظمة الدخيلة على مجتمع الحرفيين تؤثر عليهم بشكل سلبي. فعلى سبيل المثال عندما كانت النساء في القرية يقمن بعمل المطرزات الجميلة من أثواب وغيرها فقد كنَّ يقمن بهذا العمل في وقت الفراغ ومن أجل التسلية وإشغال أوقاتهن بشيء مفيد لهن ولأسرهن ويشتركن معاً بالعمل بشكل ودي ومتعاون، أما عندما ظهر النمط الجديد من المشاغل ومشاريع الجمعيات أصبحت النساء مضطرة للدوام الطويل وفي الغالب ثمانية ساعات من العمل المتواصل والمرهق مما أدى إلى نتائج سلبية على المدى الطويل على الأسرة وعلى الصحة بشكل عام وخاصة أصابتهن بأمراض الظهر وغيرها. وفي نهاية المطاف حصل عزوف عن الإستمرار في العمل كنتيجة لاتباع أنماط من النظام الإداري.

وكان لاستخدام الآلات الحديثة انعكاساً سلبياً على نفسية الحرفي الذي اعتاد على العمل اليدوي بينما نجد أن المنتج المصنع بواسطة هذه الآلات أصبح ينافس من حيث التكلفة وفي كثير من الحالات أصبحت مخرجات ومنتجات بعض الآلات في مظهرها ترتقي إلى المنتج اليدوي ومن هنا نجد من الضروري تطوير برامج التدريب حتى يصل الحرفي بمنتجاته إلى منافسة هذا الإنتاج الصناعي ويطور نوعية منتجاته بحيث تحافظ على تميزها ، ومن هنا يستطيع المحافظة على بقاء حرفته وحيويتها وتميزها واحترام المجتمع له ومساعدته في إبقاء هذا التراث الحضاري الجميل.

نتائج الدراسة:

إن العديد من الصناعات الحرفية التقليدية تواجه مشاكل كبيرة في توفير البيئة المثالية سواء كانت الطبيعية أو الإجتماعية أو الصحية أو التعليمية أو الإدارية ومتطلباتها من نواحي التطوير المعاصر.

إن التطوير والتغير الذي حصل في المجتمع وخاصةً على المستوى الصناعي والتجاري أثر بشكل أو بآخر على نوعية الإنتاج أو التكلفة المادية للمنتجات الحرفية بحيث حصل هناك قلة في الطلب على المنتجات الحرفية نتيجة حدوث التنافس في فروق الأسعار ما بين المنتج الحرفي اليدوي والمنتجات الآلية الصناعية.

على الرغم من كافة الصعوبات والظروف البيئية التي يعيشها أصحاب المهن الحرفية التقليدية إلا أن قلة منهم ما زالوا مصرين على الإستمرار في العمل ويحاولون بكل الوسائل حمايتها والمحافظة عليها من الإندثار والضياع.

توجد هناك العديد من البرامج التعليمية والتدريبية تقوم بها بعض المؤسسات الحكومية والخاصة ولكن هذه البرامج ليست على المستوى الذي يفي ويحل المشاكل التي تواجه قطاع الصناعات الحرفية.

هناك العديد من الصناعات الحرفية التقليدية تعتبر من الصناعات الصديقة للبيئة حيث يتم الإستفادة من كثير من المخلفات البيئية والتي في كثير من الحالات يصعب التخلص منها فيستخدمها أصحاب الحرف التقليدية في إنتاج مشغولاتهم مثل أشغال الزجاج والجلود والسلال وغيرها.

لقد استطاع المجتمع الحرفي الأردني استيعاب العديد من المهارات والخبرات الحرفية الوافدة والمهاجرة واستفاد هذا القطاع من هذه الخبرات في تطوير قطاع الصناعات الحرفية التقليدية حيث أن تنوع البيئات التراثية لهؤلاء الحرفيين قد كان له تأثير إيجابي في إغناء التجربة الأردنية من حيث التقنيات والمهارات الفنية.

التوصيات:

1. ضرورة وجود مؤسسة تعتني بالحرف اليدوية من حيث : توفير قاعدة بيانات تشمل جميع الحرف اليدوية الاردنية بكل ما يتعلق بها ،و العمل على توفير الخامات و الادوات و البيئات المناسبة لتنمية هذه الحرف ،واعداد البرامج التدريبية وورش رفع الكفاءة للعاملين في هذا المجال
2. وضع البرامج التعليمية المنظمة ضمن المناهج الدراسية و تطويرها المستمر، وحملات التوعية للمحافظة على البيئة الصحية و الاجتماعية و العمالية المناسبة لبيئة العمل.
3. وضع القوانين و التعليمات التي تتوافق مع مثيلتها العالمية من حيث المحافظة على تطور الحرف اليدوية و سلامة البيئة .

قائمة المصادر والمراجـــــــع:

الباز، داود عبد الرازق، يناير – مارس 2004. مفاهيم أساسية في القانون العام لحماية البيئة، عالم الفكر، العدد 3 ، المجلد32 ، ص84-59.

احسان أوغلي، 1997. نزيه طالب معروف، أكمل الدين، الإبتكار والحرف اليدوية في العالم الإسلامي، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية (ارسيكا) استانبول.

الحيدري، ابراهيم، 1984.أثنولوجية الفنون التقليدية، دراسة سوسيولوجية لفنون وصناعات وفولكلور المجتمعات التقليدية، دار الحوار – سوريا.

الخوري، ميسون فايز وآخرون، 1998 .ورشات العمل والترميم في مدرسة مآدبا لترميم الفسيفساء، مشروع التعاون الإيطالي الأردني مدرسة مآدبا الترميم بالفسيفساء، عمان.

الخطاط، سلمان ابراهيم عيسى،1990 .فن البيئة، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد.
اسلام، أحمد مدحت، 1990. التلوث مشكلة العصر(المجلس الوطني للثقافة والفنون الآداب)، الكويت، أغسطس.

اليعقوبي، سميرة بنت خميس بن موسى، 2008. التوليف الإبداعي في تصميم الحُلى الحرفيه المعاصرة (التجربة العُمانية) رسالة ماجستير – جامعة اليرموك، إشراف د .خليل طبازة إربد

بريك، يوسف: العلاقة بين الإنسان والعلم والبيئة من منظور علم الإجتماع، مجلة جامعة دمشق – المجلد 13 - العدد الثالث، ص1997 .184-165

حجازي، يوسف خليفة غراب ود نجوى حسين: 2003 .جماليات الزخارف الشعبية مقدمة في تربية الإحساس – القاهرة .

حسن، أحمد عبد المحسن، 1993. الطابع السكني للبيئات الشعبية المصرية، المؤتمر العلمي الأول للفنون الشعبية والتراث، المجلد الأول، ص1-21، جامعة الإسكندرية.

حسن، عز الدين عبد العزيز، 1993. نحو تحقيق الطابع الشعبي المصري في تصميم منتجات الصناعات الزجاجية الصغيرة "المؤتمر العلمي الأول للفنون الشعبية والتراث المجلد الثاني، جامعة الإسكندرية، ص516-493.

حطاب، كمال توفيق ، 2004 . استخدام البيئة من منظور اقتصادي إسلامي، مؤتـه للبحوث والدراسات، المجلد التاسع عشر، العدد الرابع، ص 171-143،.

صالح، رشدي، 1961.الفنون الشعبية، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، القاهرة.

طبازة، خليل ، 2000. دراسة توثيقية للحرف اليدوية التقليدية الأردنية ، دراسة علمية محكمة، جامعة اليرموك ، مركز الدراسات الأردنية إربد – الأردن.

عبد السلام ، محمد عبد العال 1993.الاستفادة من التراث في الكشف عن رؤى فنية جديدة .المؤتمر العلمي الأول للفنون الشعبية والتراث، المجلد الثاني، جامعة الإسكندرية، ص 687-669.

عبد الغفور، محمد جمال، 1993 .أزياؤنا الشعبية تلخص تراثنا القديم، المؤتمر العلمي الأول للفنون الشعبية والتراث، المجلد الثاني، جامعة الإسكندرية ، ص 668 - 659 .

ماردیني، میسون أحمد،2005 تلوث الهواء وأثره على البيئة، مجلة التربية ص261-255 ، دمشق، سوريا.

معروف، أكمل الدين إحسان أوغلي، نزيه، سعداوي، صالح،1993م. آفاق تنمية الصناعات التقليدية في الدول الإسلامية، استانبول.

معرفي، مصطفى ، 2004 .تعهيد :الإنسان والبيئة، عالم الفكر، العدد (3) ، المجلد (32) ، ص15-7 ، يناير مارس .